جُنْدِيٌّ مَجْهُولٌ

(محاورة مع الباحث التّركيّ فريد الدّين آيدن)



أحمد خان مكرّم

كراتشي-١٩٩٩م

المحتويات

***

تقديم

إنّ هذه الصّفحات تتناولُ حواراً دارَ بيني وبين شخصيّةٍ من رجال البحثِ والدّراسة في تركيا، كتمه الزّمانُ، وأسدلَ أذيالَهُ على جهادهِ العلميّ وحجبه عن أنظارِ ناكري الحقيقةِ، فأحاطتْ به عتمةٌ ناشئةٌ من جهل المجتمع الّذي يعيش بين ظهرانيه. تعرَفتُ علي هذا الجنديّ المجهول بصدفةٍ؛ فتعجّبتُ أنّه كيف غفل عنه قطاعُ المعرفةِ في العالَمِ العربيّ، وكيف سهاَ عنه رجالُ العلمِ، خاصّةً المثقّفونَ من العربِ الّذين جَمَعَ بينهم وبينه بعضُ المناسبات والحفلات!

اتّفق لي أنْ لقيتُهُ لأوّل مرّةٍ في ندوة نظّمتْها مؤسّسةُ وقفِ الدّراساتِ الإسلاميّةِ (İSAV)،حولَ عقيدة الشيعةِ بإسطنبول عام 1993 م. فوجدتُهُ بين رهطٍ من تلامذتهِ الجامعيّين ثمّ تعرّفتُ على اسمِهِ أنّه الأستاذ فريد صلاح الهاشمي، وقد استبدلت الحكومةُ التُّركيَّةُ عام 1934م. لقبَ أسرتِهِ بكلمةٍ طورانيةٍ، وهي (آيدن)، أي مُنَوَّر، تلميحاً لما تتميّزُ به هذه الأسرةُ من العلم، والعلمُ نورٌ. لهذا ينادىَ الأستاذ في بلده (فريد الدّين أيدن (**Feriduddin AYDIN**).

استقطبَ عليه نظري وهو على ناحيةٍ من قاعةِ الاستقبالِ يحدّثُ مَنْ حولَهُ باللّغة العربية بعد انتهاءِ المحاضرة. فأعجبتني جزالةُ أسلوبهِ، وطلاقةُ لسانهِ، وفصاحةُ كلامهِ. وبعد أن علمتُ أنهُ من أبناءِ تركيا، وأنّه نشأَ ودرسَ وتعلّمَ في بلدهِ، أخذتْني الحيرةُ. لأنّ كثيراً من شباب هذا البلدِ الّذين يدرسون لغةَ الضّادِ في تركيا، لا يتقنونها على الرّغم من عزمهم الشديد، وانكبابهم على الدّروس، وحفظهم جلَّ متون القواعد لأئمّةِ اللّغةِ، إلاّ مَنْ يتكبّد منهم عناءَ السّفرِ إلى قطرٍ من الأقطار العربية فيمكث هناك للدّراسةِ مدّةً غيرَ قصيرةٍ. فجذبتْني بلاغتُهُ ودفعتْني على شقّ الصّفوفِ حتّى وصلتُ إليهِ وكلّمْتُهُ. فكانَ ذلك بدايةَ علاقةِ الصّداقةِ بيني وبينه.

في الحقيقة لم يكن في الحسبان أن أقابلَهُ مرةً أخرى، أو أقصدَهُ لأمرٍ خاصٍّ؛ ولكنّي لمّا حظيتُ بفرصةِ العودةِ إلى إسطنبول بعد عامٍ – وأنا متوجّهُ إلى بريطانيا –، زرتُ الأستاذ فريد الدّين في دارِهِ زيارةً سريعةً لم تأْخذْ إلاّ ساعاتٍ قليلةً. غير أنّي خلال تلك اللّحظات الوجيزةِ، تمكّنتُ من الإطلاعِ على شيءٍ كثيرٍ من مواهب هذه الشّخصيّةِ الفذَّةِ، وعلى أعمالهِ ومنجَزاتِهِ، بجانبِ ما يعاني من حرمان واضطهادٍ مازالا يواريانِهِ عن العيون. فأخذتْني الدّهشةُ لمّا وقفتُ على تصانيفِهِ ومؤلَّفاتِهِ الضّخمةِ وبحوثِهِ القيّمةِ، وغمرتْني الحيرةُ بعد ما عرفتُ أنّ كلَّها غيرُ مطبوعةٍ، وعالَمُ الثقافةِ تجهل هذه المنجزات تماماً.

لما استفسرتُ عن أمره أنّه كيف أتاحتْ له الفرصةُ حتّى بلغ مستواه إلى هذه الدّرجةِ الفائقةِ من الإتقانِ للّغةِ العربيةِ وطال باعُهُ في أدبِها وثقافتِها، والحال أنّها كانتْ ممنوعةَ التّدْريسِ إلى الآونةِ الأخيرةِ، على ما شاع، بجانب ما يقوم أمامها من عقباتٍ كثيرةٍ حتّى الآن؛ بدأ بسردِ شيءٍ من قصّةِ حياته. فاستغربتُ أشياء وردتْ في حديثِهِ حتّى استأذنتُهُ أن أسجّلها. وإليك أيّها القارئُ الكريم فيما يلي تعبير الأستاذ فريد صلاح الهاشمي عن نفسِهِ.

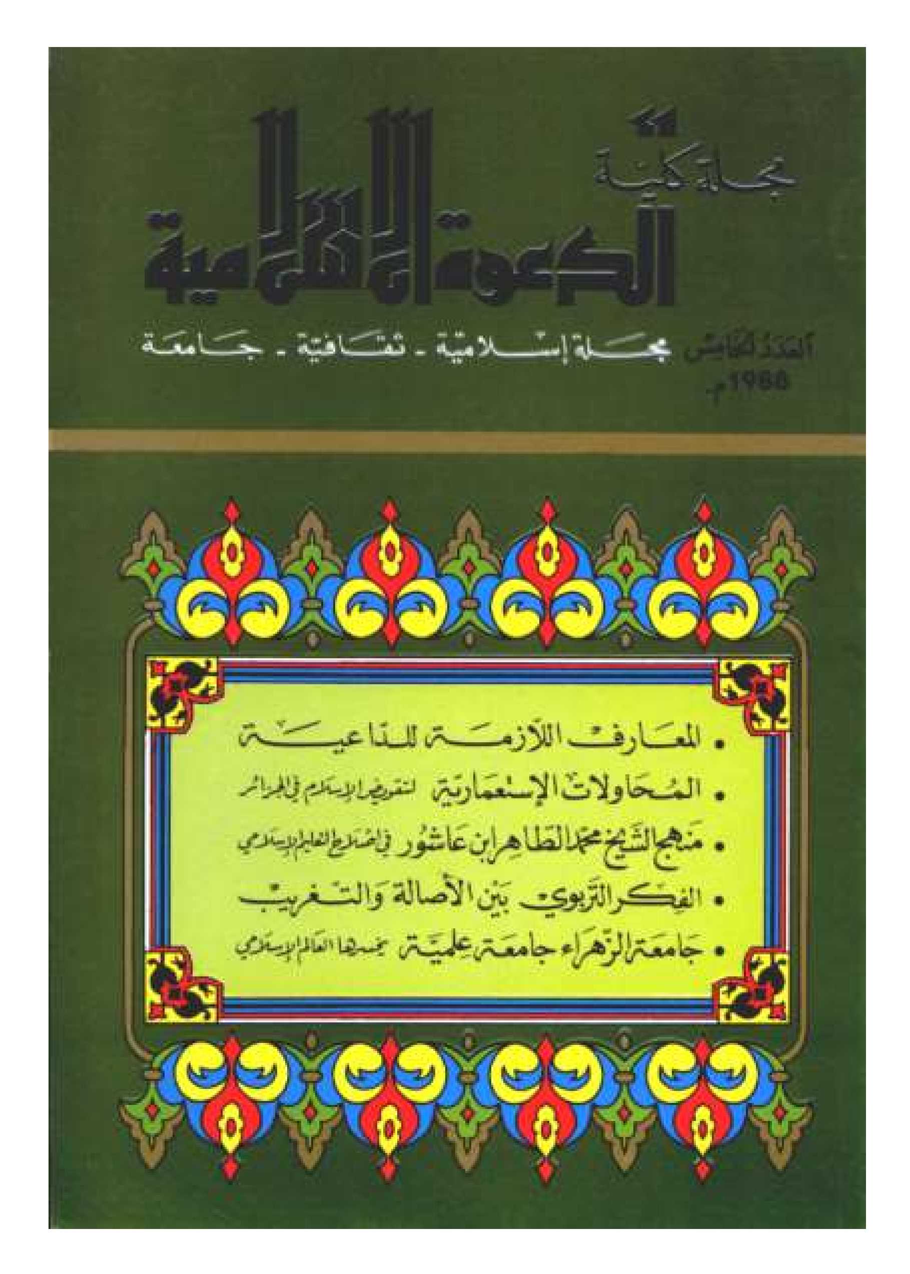
***

تعبير الأستاذ فريد الدّين عن نفسه

فممّا تمكّنتُ من ضبطه على سبيل الإيجاز أنّه قال:

«إني في الواقع رجلٌ عربيٌّ الأصلِ، تركيٌّ النّشأةِ، مستعربٌ. بدأتُ أتعلّم اللّغة العربية والقرآنَ وأنا طفلٌ لا يتجاوز عمري عن ست سنوات. إنما تعرّفتُ على لغةِ آبائي بعد هذه المدة من العمر، لأني بدأتُ أدرس هذه اللّغة وأنا مع أسرتي نقيم في منطقةٍ لا يتكلّم أحدٌ من أهلها إلاّ باللّغة الكردية، وتُسيطِرُ عليها حكومةٌ لغتُها التركيةُ!

هذه المنطقة، قد كتبتُ عنها مقالةً تحت عنوان (الجامعة الزهراء)، ونُشِرتْ في مجلة كلية الدعوة الإسلامية بليبيا/العدد الخامس لعام 1988م.



العدد الخامس من مجلّةُ كلّية الدعوة الإسلامية الصادرة في الجماهيرية العظمى عام1988م.التي نُشِرتْ فيها مقالةٌ هامّةٌ للأستاذ فريد الدين تحت عنوان (جامعة الزهراء، جامعة علمية يخسرها العالم الإسلامي)

***

وإذا عُدْنا برهةً إلى أهمّ الذّكريات لأيام طفولتي، فانّ أمّي كانت كلما تودّعني إلى الكتّاب، تنبّهني بتأكيد: أن أكون على حيطةٍ، وأن لا أذكر لأحدٍ من غير سكان القرية أنّي أتعلّم اللّغة العربية! ذلك مخافةَ أن لا تفاجئ الأسرة مداهمة جنود قوات الدّرَك (الشرطة العسكرية). لأن دراسة اللّغة العربية كانت ممنوعةً في تركيا حتى 20/مارس/1992م. ثم أَفْرَجَ عنها رئيس الوزراء الأسبق ترغوت أوزال؛ ولكن ما لبث حتى عاد الحصار متضاعفًا ومصحوبًا بغطرسةٍ وظلمٍ وعنجهيةٍ. إذ أعلنت الحكومةُ التركيةُ في الآونة الأخيرة أنّ شهادات التخرّج الّتي حصل عليها الطلاب الأتراك في البلاد العربية، كلّها ملغاةٌ لا قيمةَ لها. وفي هذا كفايةٌ لمن يعتبر بخطورة الموقف ومدى شدّةِ

النّكبةِ الّتي أصابتْ الّذين لم يتعدّ ذنبُهُمْ عن كونهم "يحملون وثيقةً تشهد على أنّهم أهانوا بكرامة اللّغة التّركيّة، فتعلّموا اللّغة العربية في بلدٍ عربيّ!" فما بالك بذنب الّذين "اقتحموا كرامةَ الساحةِ التّركيةِ فتعلّموها على أرضِ هذا البلد!" وأنا في عدادهم؟!! كما تعتزم الحكومة في هذه الأيام لطرد جميع الموظفين بمرافق الدولة الّذين درسوا وتخرّجوا في البلاد العربية؛ وكما ضربت صفحًا عن القانون الّذي أصدره ترغوت أوزال برفع الحصار عن اللّغة العربية. فقد بدأت الحكومةُ تهدّد المدارسَ الخاصّةَ بعقوباتٍ صارمةٍ إذا عُثِر فيها على أثرٍ من نشاطات التدريس باللّغة العربية!

هذه التطوّرات تذكّرني مرة أخرى بأيّام طفولتي، بتلك الأيّام الّتي كان قلبي يصبو إلى العرب؛ وكنتُ أتمنّى لو رأيتُهم وتحدّثتُ معهم. لأننا كنّا الأسرة العربية الوحيدة في المنطقة.

لقد كنتُ في حيرة من أمر والدي أنه كيف تعلّم اللّغة العربية ، ولا أعلم يومئذٍ أنها لغتُهُ الأصليةُ إذ كنتُ صبيّاً. أمّا إنّه كان يُتْقِنُها، ويتكلّمُها بطلاقةٍ في حواره مع علماء الأكراد، فيُعجبني أسلوبُهُ، ويدرّسُها سرًّا، على الرّغم من الاحتياطات الشديدة الّتي كانت الحكومة تتّخذُها ، والعقوبات الّتي تنفّذها ضدّ من يُلْقَىَ عليهِ القبضُ "وهو يرتكب هذه الجناية!"

ثم ما لبثتُ حتى علمتُ أنّ أسرتي تنحدر من سلالةٍ عربيةٍ هاجرت من المدينة المنوّرة وطنِها الأصليّ إلى الكوفة بعد ثلاثين عامًا من وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم أقامت في بغداد قرونًا حتى دخلها جيوش التّاتار ودمّروها وقتلوا أكثر أهلِها عام 1258م. فهاجر آبائي منها إلى وطنهم الثالث (مدينةِ أسْعِرد Siirt) في عهد ملوك الطوائف. وهي في أقصى جنوب تركيا على مسافة مائة وخمسين كيلاً من الحدود التُّركيّة–العراقية. فأصبحوا من أهل ديار التُّرك منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا.

قاومتْ الأسرةُ كافّةَ الموانع، وأبتْ أن تذوب في بوتقة الجموعِ الآهلة بالمنطقة عبر القرون. فاحتفظت بكيانها في وسط تلك العناصر الخليطة إلى الماضي القريب؛ ولكنَّ الضّغوطَ السّياسيّةَ والدّوافعَ الاجتماعية أنهكتها أخيراً؛ فإنّها لم تعد قادرةً على الاحتفاظ بميّزاتها العربية في الوقت الراهن. فأولادنا ما عادوا يتكلّمون باللّغة العربية إلاّ من يزيد أعمارهم عن ثلاثين سنة تقريبًا، ولا يُتقِنُ الكتابةَ والقراءةَ مِنْ أفراد هذه الأسرة الكبيرة إلاّ عددٌ قليل. انتقلت عائلاتٌ من فروع هذه الأسرة إلى إسطنبول بعد السّتّيناتِ من القرن المنصرم، هربًا من مساوي الفتنة الّتي بدأتْ تتوقّدُ نيرانُها بين الثوّار الأكراد وبين القوات المسلّحة التركية.

هذه أسرتي، وكان هذا موجزًا من تاريخها الّذي استوحيتُ منه وعيي وصحوتي، وشققتُ الطريقَ على ضوئه في تباحُثٍ لأكون يومًا من أفراد مجتمعٍ لا يراني أحد منهم حقيرًا لأني عربيٌّ!»

***

هكذا أوجز الأستاذ فريد الدّين مرحلةً من قصّةِ حياتِهِ، وما تكبّد أيّامَ دراستِهِ ليتعلّمَ لغةَ آباءه، وهو يتذوّقُ مرارةَ ألفِ نوعٍ من الاضطهادِ والحرمان. ثمّ تطرّق إلى ما كان قد بدا له أيّامَ شبابِهِ من الرغبةِ في الإقامةِ ببلدٍ عربيٍّ بين بني جلدتهِ، فقال:

«عشتُ بهذا الحلم حتى زرتُ ليبيا وأقمتُ بين أبناءها مدةً، فعلقتْ نفسي بها، وأصبحتْ هي وطني الثاني لا ثالث بعدها. وقد كتبتُ عجالةً بهذا العنوان، جمعتُ فيها شطراً من ذكرياتي لأيّامي في ذلك البلد الطيّب. وما زلتُ أكتب وأُسجِّلُ. أمّا التسجيل، فإنّها من دأب عظماءِ أمّتنا، فيجب علينا نحن أبناء العروبةِ أن نسير على سنّتهم لإحياءِ هذه العادةِ الطّيِّبةِ. لأنّ العرب قومٌ نشأ أبناؤهُ من القديمِ على التّدوين والتّأليف والتّصنيفِ، كما أهابَ العلماءُ بالأجيالِ في كلّ عصرٍ يوصوهم بتسجيل ما يتعلّمون ويكتشفون من كلّ جديد.»

لمّا وجدْتُ المناسبةَ في تنويه الأستاذ فريد الدّين بليبيا، أحببتُ أن يذكر لي شيئاً عن هذا البلد الّذي طالما عزمتُ على زيارته فلم تتّفق لي بعد؛ قال إن شئتَ أنْ تبلُغَ مُناكَ بالعلمِ التّامّ حولَ هذا البلدِ وكأنّك زرتَهُ وأقمْتَ به سنين، عليك بمطالعةِ كتابي الّذي ألّفْتُهُ بعنوان. (ليبيا وطني الثاني). ثم أضافَ قائلاً: «شاء القدرُ أن أُسافرَ إلى ليبيا لأوّل مرّةٍ في بداية عام 1976م. ثمّ ظللتُ بين حطٍّ وترحالٍ من إسطنبول إلى طرابلس قرابةَ عشرين عامًا. قضيتُ سنين في تَجوالٍ بين نقاطٍ مختلفةٍ في أنحاء ليبيا بمناسبة العمل. وكلّما عدتُ إلى إسطنبول اشتاقتْ نفسي إلى هذا البلد الطيب حتى أصبحتُ فردًا من أبناء المجتمع اللّيبيّ. تعرّفتُ على هذا الشعب بكلّ مزاياه. وخلاصة ما أستطيع أن أقول في هذا الصّدد بالإيجاز: إنّ الشعب اللّيبيَّ يمتاز بأرومته الطيّبةِ، وأصالتِهِ وفطرتِهِ السّليمةِ. له أمجاد وبطولاتٌ ونخوةٌ. فلا يُستَبْعَدُ أن ينهض هذا المجتمع يومًا بدوره الفعّال ورأيه السّديد، على قلة عدده، فيقودَ البشريةَ إلى ما يتمنّاه كلُّ إنسانٍ من السّعادةِ والهناءِ والرّشاد.»

***

عجبتُ بعد مقالِهِ هذا الّذي يعبِّر عن بالغِ محبَّتِهِ لأهلِ ليبيا وعن مدى اشتياقِهِ إلى هذا البلدِ، كيفَ غادرها بعد أن أقامَ فيها مدّةً طويلةً، سألْتُهُ عن ذلك، فأجابني بفكاهةٍ وهو يبتسمُ: «إنّ المحبَّ إذا أراد أن يتذوّقَ باستمرار سعادةَ

المحبّة لما هو مشتاقٌ إليهِ، ينبغي أنْ يُحرَمَ منه برهةً، كالصّائم عن الطعام والشراب؛ ليعودَ إليه برغبةٍ؛ لأنّ الإنسانَ إذا تعوّدَ على نعمةٍ كَلَّ مذاقُهُ، فلم يعد يتنعّم بها.»

كانت أماراتُ الحزن تسود على وجه الشيخ فريد الدّين في تلك اللّحظات وهو ينشدُ شعراً. قال بصوتٍ خافتٍ مذبذبٍ يوحي برنينهِ ما يملأ صدرَهُ من الحنين والاشتياقِ إلى ليبيا، قال:

«والله لستُ ممّن يقرض الشّعرَ ولا جرّبتُهُ إلاّ في ترجمةِ أبيات تركيةٍ قليلةٍ، ولكن بلغ بي التّوَقان مبلغَهُ إلى أرضِ ليبيا حتّى تناثرتْ هذه الكلمات من بينِ شفتيَّ كأنَّ هاتفاً ينفثها في روعي.»

لم تكن الفرصةُ سانحةً بحكم ظروفي وقتئذٍ لمحادثتهِ في مضمون هذا النّظمِ، فاكتفيتُ بالاستئذان ليزوّدني بصورةٍ منه، فقال: «في المرّة القادمةِ إن شاء الله!.»

***

لقد كنتُ في قلقٍ أن يملّ الشيخ فريد الدّين من كثافةِ الحديثِ فتُحْرِجَهُ كثرةُ استفساراتي الّتي تترى كأنّها وابل، لأنّ الفرصةَ من سوءِ حظّي لم تكن سانحةً لأغتنمَها فأفوزَ بأقصى قدرٍ من معلوماتِهِ الغزيرةِ في لحظاتٍ محدودةٍ. ولهذا تنوّعت المسائلُ عبر الحوارِ – وأنا مستعجَلُ – حتى خشيتُ أن تفوتني طرفةٌ من نوادرِ عبقريّتِهِ. فأحببتُ أنْ أستزيدَ المعرفةَ حولَ المناهل الّتي استقى منها علمَهُ، والبيئةَ الّتي نشأَ فيها؛ فأفادني بأنّه ولد عام 1945م. بقريةٍ من ضواحي مدينة موش الواقعة في منطقة شرق تركيا، وقضى مرحلةَ الطّفولة فيهاِ. ثمّ قال:

«نشأتُ في هذه المنطقة. فلما بلغتُ الخامس من العمر، بدأتُ أتلقّىَ القرآن الكريم من والدي المغفور له (فضيلة الشيخ صلاح بن عبد الله بن محمد الحزين الأسعردي) حتى ختمتُ الكتاب العزيز على عدد من تلامذته وأنا بن سبع سنين يومئذ. ثم شرعتُ في دراسة قواعد اللّغة العربية من صرفٍ ونحوٍ وبلاغةٍ وآدابٍ. ثم – بعد أن حظيتُ نصيبًا وافرًا من علوم الآلة – بذلتُ جهدًا بالغًا في دراسة أصول الدّين والفقه والتفسير وطبقات الرجال وعلومٍ معاصرةٍ مختلفة على نخبة من العلماء والنابغين في المنطقة نفسها إلى أن تخصّصتُ في العقيدة الإسلامية. كلّ ذلك أسوةً بالسلف الصالح. لأنّ أسرتنا كانت على إرث من العلم كما سمعتُ من والدي أكثر من مرة أنه كان يقول:

«إنّ أسرتَنا لا ترث إلاّ العلم، واللهَ نسأل أن يتمّمه بالعمل الصالح والإخلاص وحسن الخاتمة.»

إنّ الفترة الّتي نشأتُ فيها، كانت تعاني من وطأة الكماليين الّذين كانوا ولا يزالون يتربّصون بالمسلمين ليُنزلوا بهم الضّربةَ القاصمةَ على حين غفلةٍ منهم. والله يعلم كم لبثنا في الصحاري والقفار، وكم مكثنا في الأصطبلات والمتبنات عاكفين على الكتاب نقرأ الشروح ونحفظ المتون ونكتم السرّ خوفاً من بطش الملاحدة العلمانيين وعملائهم.»

***

أعمال الباحث فريد الدّين و منجزاتُهُ

إنّ مَنْ يطّلع على الأعمال الجبّارةِ الّتي أنجزها فريد الدّين، هذا الجنديُّ المجهولُ، وعلى بحوثه الضّخمةِ، وما بذلَ في سبيلها من جهودٍ ووقتٍ، وما كلَّفَهُ من رحلاتٍ وتتبُّعاتٍ، وما تعرّضَ له من أخطارٍ أقضَّ بمضجعِهِ كما يعترفُ بالذّات هو بهذا الواقعِ خلالَ قصّتِهِ فيما يلي؛ نعم إنّ مَنْ يطّلع على كلّ ذلك لا يتعجّب من أمره هذا فحسب، بل يأسف لما صمَّ عنه الآذانُ، ولربما يتساءل، كيف غابَ هذا الباحثُ عن أنظارِ العربِ وهو يكتب بلغتِهم، ولم يهتدِ إليهِ أحدٌ منهم، ممن يشعر بمسؤوليةِ حملِ هذا الكنز إلى عالم المعرفة؟!

لمّا استفسرتُ السّببَ، قال:

«بل لذلك أسباب، منها، أنّي لم أنظر إلى ما قد أنجزتُهُ أنّها مُلكي؛ بل الإنتاج العلميُّ شيوعٌ تشتركُ فيه العامّةُ، وليس متاعاً يُتَّجَرُ بهِ. لذا قد تركتُ في ذمّةِ النّاس كلَّ ما أنجزْتُهُ، والعربُ مسئولون عنه بالدّرجةِ الأولى. أمّا إنّي فلستُ إلاّ بضعاً منهم، كما لستُ مسؤولاً عن غفلتهم إذا أهملوا ما يعود إليهم من هذا الإنتاج. وأمّا بقيةُ الأسبابِ، فإنّها سوف تتبلورُ لك بعد متابعتِكَ لما حقّقْتُهُ، ومطالعتِكَ للدّراسات والبحوث الّتي استكملتُها وانتهيتُ منها»

ثمّ ناولني الشيخ لفيفاً من الأوراق فيها تعريفُ بأعمالِهِ وبحوثِهِ ودراساتِهِ بعنوان (نبذةٌ من سابقةِ أعمالي)، فلم أتمكّن من مطالعتِها إلاّ بعد أن رجعتُ إلى بلدي (باكستان)، وأمعنتُ النّظر فيها. وإليكم فيما يلي كلمات الأستاذ فريد الدّين حول أعماله من تدريسٍ وبحوثٍ ودراساتٍ.

***

تعريف المؤلّف بأعماله وبحوثِهِ

«انطلاقاً من المسؤولية الّتي تترتّب على كلّ مؤمنٍ آتاه الله العلمَ بحقيقة التوحيد، ورزقه المعرفةَ بوضع المسلمين خاصّةً وما يهدّدُ عقيدتَهم من أخطار الشّرك والبدع والخرافات؛ عزمتُ على القيام بواجب الإرشاد والتوعية والإصلاح بين صفوف أبناء بلادنا بعد أن عكفتُ على دراساتٍ وبحوثٍ متنوّعةٍ ذات أبعادٍ واسعةٍ في مجال العقائد المضلّلةِ والمتفشّية بين غالب النّاس على السّاحةِ التُّركيّةِ، فكشفتُ عن حقيقَتِها من خلالِ جذورِها التّاريخيةِ، وما قد نشأتْ منها من شذوذٍ ومروقٍ وفسادٍ، وبيّنتُ مدى انتشارِهَا، ووجوهَ تعارُضِهَا مع العقيدة الحنيفة، وذلك بجهودٍ متواصلةٍ وخطواتٍ جريئةٍ منذ مدةٍ تزيد عن ثلاثين عاماً.

يهمني بهذه المناسبة أن أتطرّق أوّلاً بالإيجاز إلى ما يواجه رجال العلم في مجال البحوث الإسلامية بالتحديد من عقبات تمنعهم عن مواصلة أعمالهم في بلادنا، وخاصّةً إذا ما أراد أحدُهُمْ أن ينتقل من مرحلة البحث والدّراسة إلى أداء مهمّته على الصعيد الإرشاديّ في سبيل التوعية والتثقيف.

ولعلّ العقبات الّتي تعترض سبيل الباحث والدّارس المؤمن وتقلّص من نشاط رجال الدعوة والإرشاد بل تمنعهم من أداء مهمّتهم في بعض المراحل في القطر التُّركيّ، كلّها ناشئة من سببين رئيسيّين خطيرين، قلّ من يهتدي إلى جذورهما ويقف على حقيقتهما من رجال البحث العلميّ خاصّة في البلاد العربية!

وإذا تحاشينا من ذكر أحدهما حذراً من الوقوع في بعض المحظورات، فإنّ السبب الثاني هو العقلية السّائدة والطبيعة الاجتماعية الراسخة في الشّعب التّركي منذ القديم وبدايةً من دخول أوّلِ جيلٍ من آبائهم الأوّلين إلى حظيرة الإسلام. لا شك من أنّ المشاكل الّتي تراكمت في حاوية التاريخ لهذا الشّعب وانحدرت اليوم عليه فجعلته يترنّح

أمام العواصف بين الشرق والغرب، معظمها ناشئة من هذه العقلية والطبيعة، ممَّا جعلت رجالَ العلم والدعوة والإرشاد في حيرةٍ وارتباكٍ أمام كلّ ما يرونه على السّاحةِ التّركيّةِ من نزعاتٍ متطرّفةٍ، ومعتقداتٍ متضاربةٍ، ودعاياتٍ هدّامةٍ، يكاد هذا الشّعب ينسلخ في غمارها عن الإسلام تماماً وفي مستقبلٍ غير بعيد!

وإذا نظرنا إلى أهمّ مظاهر هذه العقلية والطبيعة، نجد أنفسنا أمام واقعين؛ كلٌّ منهما يعاجل نزوح البقية من أمارات الإسلام ومعالمه عن ساحة هذه البلاد بكلّ سرعة.

أوّلهما: هو آخر ما سقط إليه مستوى النّاس من المعرفة بحقيقة الإسلام نتيجة اختفاء اللّغة العربية بعد أن فُرض الحصار عليها منذ عام 1924م. حتى 20. مارس عام 1992م. أمّا المقرّرات الرّمزيّة الخاصّة بالمعاهد الدّينية والكلّيّات الإسلامية فإنها لم تتجاوز عن مخادعة الشّعب الجاهل بدينه؛ كما لا تتجاوز *(مرافقةُ مديرِ فرع إسطنبول للمؤتمر الإسلاميّ الوفودَ الّتي تزور البلادَ العربيةَ بين الفينة والأخرى)* أيضًا لا تتجاوز عن الغرض المعهود وإخفاء الصورة الأمامية للدّولةِ التُّركيّةِ! لأنه هو الرجل الوحيد الّذي يتقن اللّغة العربية ويتمكّن بفضلها من تغيير أفكار الإنسان العربي المتردّدِ في نظرته إلى هذا البلد! إنّ اللّغة العربية قد اندرست تماماً في تركيا بحيث لا يكاد أحد من أساتذة العلوم الإسلامية يتقن الإنشاءَ والنطقَ بالعربية في التعبير، سوى قراءةِ عددٍ قليلٍ من الكتب المبسّطة والمحدّدة ضمن المقرّرات فحسب. ولهذا فان الجهل بالعقيدة الحنيفة منتشر بين أفراد المجتمع التركي بحيث لا يكاد غالبهم يعبأ بخطر الإلحاد والزندقة. بل إنّ الدِّعاياتِ الهدّامةَ الّتي استخدمتها أندية الضلال والنفاق من خلال الغزو الثقافيّ عبر المراحل السابقة، تمخّضتْ عن ترويضِ طائفةٍ من النّاس على الإهانة بالإسلام ومقدّساته، والمجاهرةِ بالكفر البواح واستعراض ألوانٍ من الشرك.

أما الواقع الثاني، فهو الفقرُ الثقافيُّ الّذي *(يعاني منه الشّعب التّركي عبر تاريخه بحكم العقلية العسكرية الراسخة في طبيعة هذا القوم)* قد انتهتْ بأبنائِهِ أخيرًا إلى تشوّشٍ في الحوارِ، وسوءِ تفاهمٍ في العلاقات؛ وذلك لعدم استقرار اللّغة التّركيّة وما ينشأ من هذه الطبيعة الواهية من خلطٍ وتذبذُبٍ وتغيُّرٍ سريعٍ واستحالة. فقد أسفرتْ عن هذه العقلية والطبيعة واللّغةِ، خساراتٌ فادحة، ومناقشات حادّة لاهَوَادَةَ لها في المجالات العلمية والأكاديمية والثقافية والأخلاقية، إلى أن طغتْ على السّاحة الدّينيةِ فتجاوزت إلى العقيدة بسلبيات خطيرة.

إنّ هذين السببين على وجه الخصوص مع ما هنالك من أسباب هامّةٍ أخرى تعترضُ سبيلَ الباحثِ والدارسِ والداعيةِ والمرشدِ عند كلّ خطوةٍ في بلادنا وقليلٌ مّا هم!

وهذا ما عرض لي، فجعلني أرى وأشاهد من واقع هذا الشّعب فهمَه للإسلام وموقفَه من عقيدة الدّين الحنيف ما لا تسعه مجلّداتٌ تُحْشىَ في بطونها... ولكن حبسني القَدَرُ وأرغمني على الكتابة فحسب، دون أن يسمعني إلاّ قلة مؤمنة واعية مدةَ ثلاثين عامًا في هذه البلاد {وَ مَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ}.

والآن أريد من منطلق المسئولية العلمية والأخلاقية أن أشرح نُبذةً حول أعمالي و مهامّي و ما جعلتُهُ نصبَ عيني منذ نعومة أظفاري من دراسة العلوم الإسلامية وتدريسها، وأعمال البحث والتّرجمة والتأليف والتوعية والإرشاد والإصلاح، لعلّ من يطّلع على هذه المعلومات الخالصة من شوائب المبالغة والرّياءِ، أن يذكرني بالخير، و أن يمدّ يد المساعدة إلى المضطهَدين من أهل الإيمان الخالص في نضالهم ضدَّ التّحدّيات الّتي تُشجّعُ الناشئة على التمرّد في وجه الإسلام على هذه الساحة.»

***

نشاطاتي في مجال التّوعية والإرشاد.

أعمال التدريس:

قمتُ بتدريس جماعة من الشّباب المحتسبين من طلاّب جامعة إسطنبول على مراحل من عام 1987 حتى 1992م. تطوّعًا لله وبصورة خاصّة. لأنّ النّظام السّائد في تركيا كان ولا يزال يمنع التّدريسَ الفرديَّ الخاصَّ باللّغة العربية ولا يعترف بمستوى أحد قد درس بهذه الطّريقة. وعلى الرّغم من أنّ الحكومة أصدرت يوم 20. مارس. 1992م. قانونًا يسمح بتدريس اللّغة العربية، إلاّ أنّ السلطات ضربتْ صفحًا عن هذه المادّةِ، وما زالت تمنع التّدريسَ إلاّ عن طريق المعاهد والكلّيّات الدّينية الّتي تُشرف عليها الأجهزة الحكومية المتشدّدة في تحديد المقرّرات ضمن إطارٍ لا يمكن للطّالبِ أن يتعلّم اللّغة العربية بها، ولا أن يبلغ مستوى متوسّطًا من دراسة العلوم الإسلامية. هذا، بالإضافة إلى ما قد أصدرت الحكومة سلسلةً من القوانين في العام الماضي، أقامتْ بها عقباتٍ كبيرةً أمام الشّباب الّذين كانوا يرغبون الدّراسة في المعاهد الدّينية.

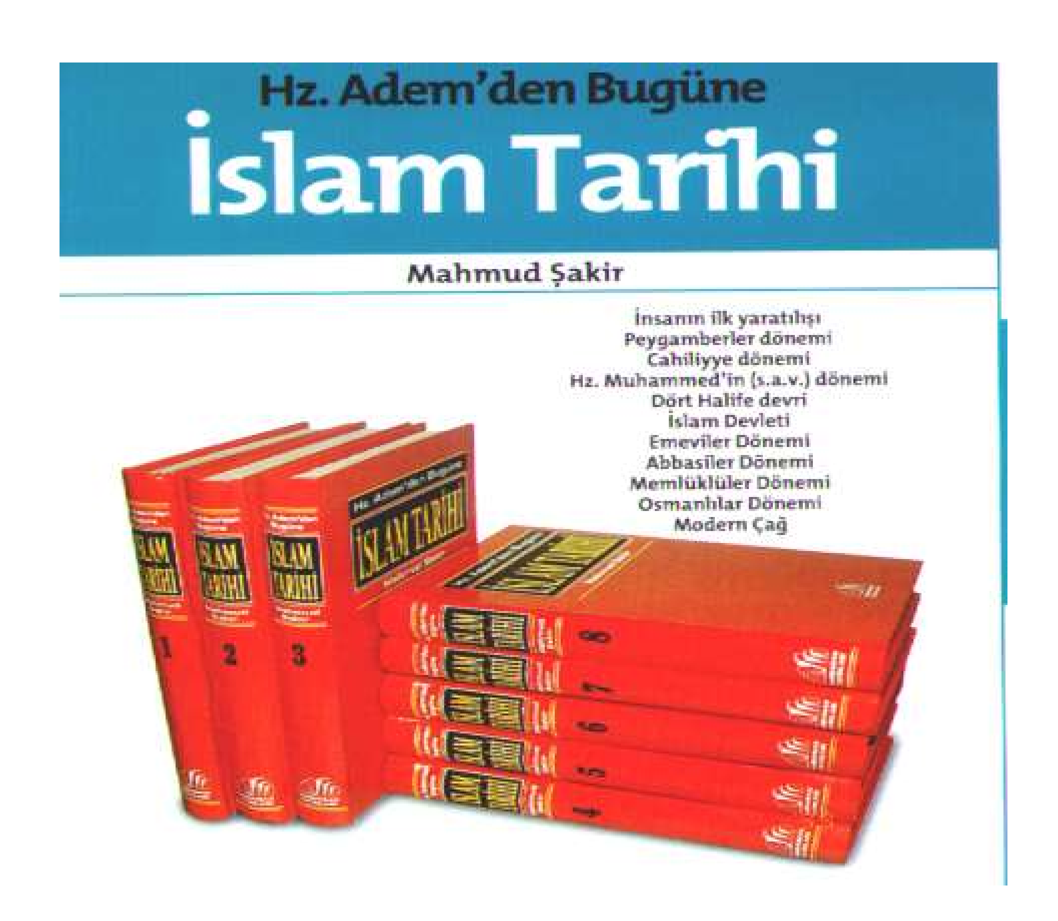
إلى جانب هذا، و مع كلّ ما اعترض سبيلي من المشاكل والعقبات، فقد شهدتُ رغبةً عظيمةً من تلاميذي في دراستهم، فأقررتُ بالنّجاح لنخبة منهم لما وجدتُهم يُتقنون اللّغة العربية في حدودٍ معيّنةٍ ويهتفون بالإسلام، ويعملون بالكتاب والسنة وهم على الجادّة البيضاء.

***

أعمال الترّجمة

ترجمتُ كتابَ التاريخِ الإسلاميِّ المكوَّن من 9 مجلدات للمؤلّف محمود شاكر أستاذ مادّةِ التاريخ الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود. نقلتُ هذا السِّفرَ الضّخمَ من اللّغة العربية إلى اللّغة الترّكيّة في 8 مجلّدات ما بين أعوام 1990–1995م. وتمَّ طبعه ونشره من قبل دار قهرمان في إسطنبول عام 1995م. فحظي الكتابُ قبولاً وإعجابًا في أوساط أهل التدريس والتعليم. ثم أَفْرَدَتْ دارُ قهرمان سيرةَ الرّسول صلى الله عليه وسلم وعهدَ الخلفاء الراشدين في مجلّدين من ضمنِ أجزاءِ الكتابِ المذكورِ، بناءً على طلباتٍ واردةٍ من بعض الجامعات في أنحاء تركيا.

***



* ترجمة التّاريخ الإسلاميِّ إلى اللّغة التّركيّة **8** مجلدات

***



- ترجمة سيرة الرّسول ﷺ إلى اللّغة التركيّة.
- ترجمة سيرة الخلفاء الرّاشدين رضي الله عنهم

***

إعمال التّأليف:

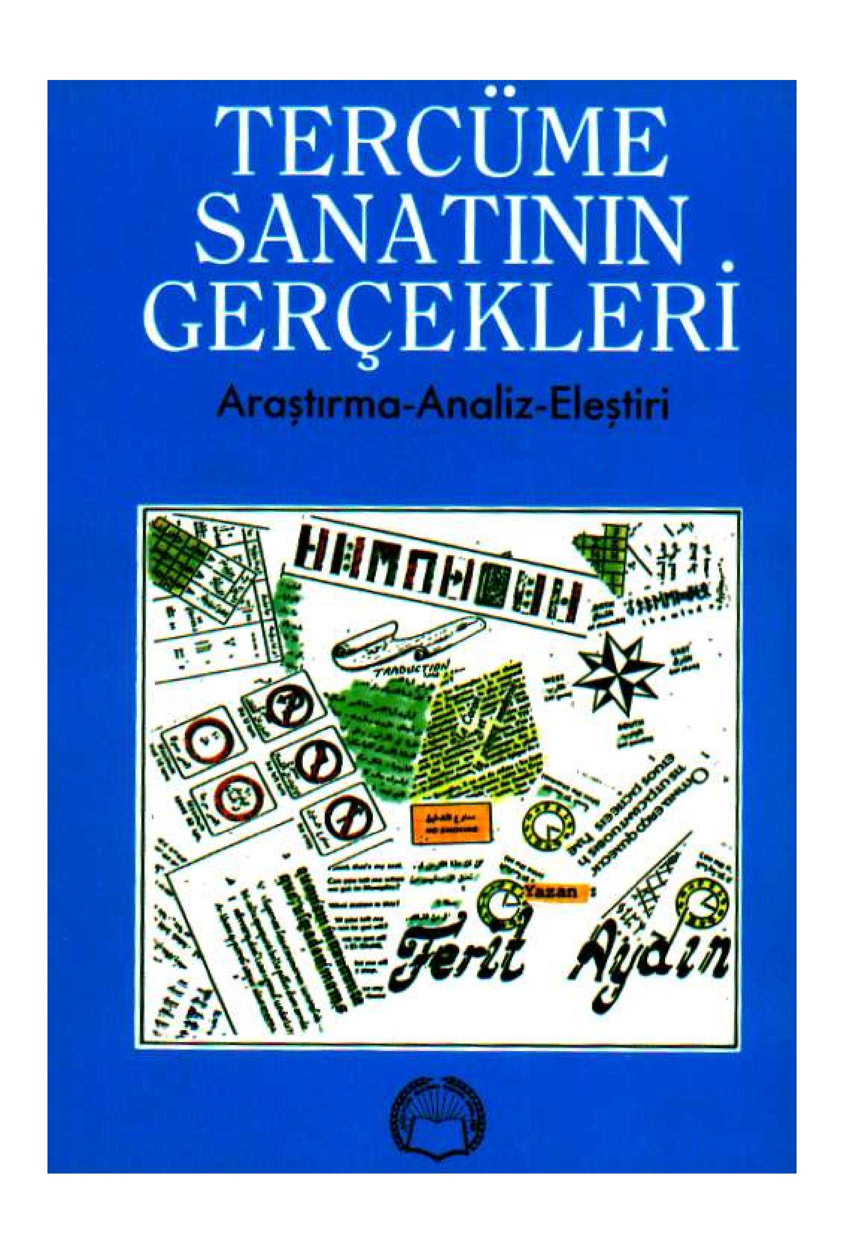
صدر لي عدد من أعمال التّأليف في موضوعات مختلفة؛ منها:

1. حقيقة فنّ التّرجمة.

كتبتُهُ باللّغة التّركيّة تحت عنوان: Tercüme Sanatının Gerçekleri. وذلك عام 1984م. تناولتُ فيه جوانب مختلفةً من دقائق هذا الفنّ. فشرحتُ فيه على وجه الخصوص النّقاطَ الهامّةَ الّتي يجب على المترجم أن لا يتغافل

عنها خاصّةً في نقل المفاهيم العربية إلى اللّغة التّركيّة بعد أن تطرقتُ إلى تاريخ هذا الفن بإيجاز مع ذكر مبادئه العامّة. تم طَبْعُ هذا الكتاب ونشرُهُ من قبل دارٍ للطباعة والنشر في إسطنبول اسمها: **Kültür Basın Yayın Birliği** وهو غير معرّب.

***



***

حقيقة فنّ التّرجمة (باللغة التركية)

اطّلعتُ على أسرار فنّ التّرجمةِ ما بين أعوام 1976 – 1984م. لأنّي قضيتُ تلك المرحلةَ كلَّها في ميدانٍ تغمُرُهُ التّرجمةُ؛ ولأنّ التّرجمةَ كانتْ قد تحوّلتْ إلى تيّارٍ شديد في تركيا، خاصّةً من اللّغةِ العربيّةِ إلى اللّغة التّركيّة. ولا أدري الدّافعَ الحقيقيَّ لهذه النّزعةِ التي ما لبثتْ حتّى انقلبت إلى حملةٍ شديدةٍ تسابق فيها العالِمُ والجاهِلُ. ولكنّي أظنُّ أنّ ليبيا لمّا فتحتْ أبوابَها للشّركات التّركيةِ، والتقى العنصران العربيُّ والتّركيُّ على أرضها، بدأتْ هذه النّزعةُ تدبُّ في مشاعر قطاعٍ من الشّعب التّركيِّ، يريد أن يتعرّف على ما كتبه الأسلافُ باللّغةِ العربيةِ؛ فأكبّ المترجمون على نقل كتب التّراث إلى اللّغة التّركية.

دفعني إلى تأليف هذا الكتاب سببان مهمّان جدًا.

أحدهما، أنّي وجدتُ التّرجمة الخاطئةَ *(بين اللغتين التركية والعربية بالتحديد)* وجدتُّها ضمن الأسباب الرئيسية الّتي لعبتْ دورًا هامًا في سوء التفاهم بين الجانبين اللّيبيِّ والتُّركيِّ في أغلب اللقاءات خلال الأعوام 1976-1984م. تلك السنين الّتي كانت ليبيا قد فتحت أبوابَها للشركات التركية. فلقد كان للترجمة السقيمة أثرٌ كبيرٌ في توتُّرِ العلاقات بين الجانبين من حين إلى آخر حتى انتهت بالفشل في نهاية المطاف.

في الحقيقة شهدتُ في ليبيا أحداثًا رهيبة من النّزاعِ بين الطرفين اللّيبيِّ والتُّركيِّ دون أن تمتَّ إلى أيّ سببٍ حقيقيٍّ، أسفرت عن خسارات مادية ومعنوية من جراء التّرجمة الخاطئة، بينما كانت العلاقا تتحسّن كلما لجأ الجانبان إلى الحوار باللّغة الإنجليزية على الرغم من عدم إتقانهما لهذه اللّغة الغريبة على الطرفين!

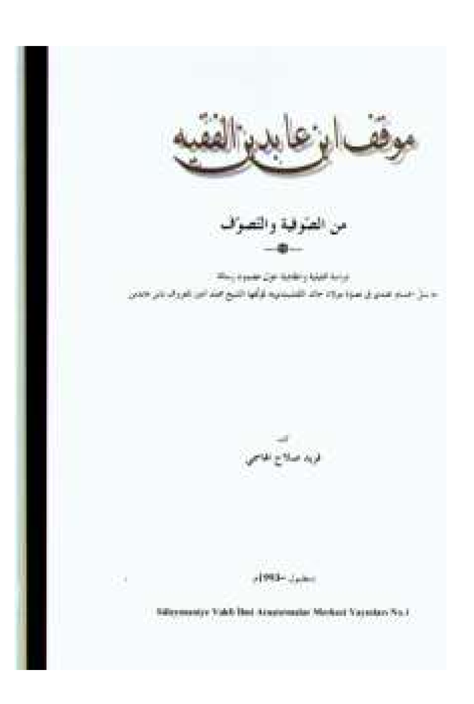
والسبب الثاني، هو ردُّ فعلٍ انطلقتُ منه عندما لمست الخطرَ على المفاهيم الإسلامية فخشيتُ أن يتعرّض الكثيرُ منها للتحريف بقلم المنتحلين في مجال التّرجمة؛ ذلك أنّ حملةَ التعريبِ للتُّراثِ الإسلاميّ لما انطلقتْ من بداية السبعينات وتطوّرتْ بسرعةٍ، حتى انفلتت من العنان، ولم يكن معظم المترجمين من أهل هذا الفنّ في تلك المرحلة، أخذتني الغيرةُ الإيمانيةُ والعلميةُ أن أنصحَ أبناءَ هذه المهنة بشيءٍ ينفعهم ويضيء طريقهم، فأثمر القلم بهذا الكتاب. غير أني انتبهت فيما بعد إلى جملة من أخطاءٍ وزلات قد بدرت منّي أثناءَ صياغة هذا العمل فأنكرتها ولات حين مندم!

2. موقف ابن عابدين من الصوفية والتصوّف.

طلب مني الدكتور عبد العزيز بايندر (رئيس هيئة الفتوى والأستاذ بجامعة إسطنبول)، طلب مني عام 1993م. أن أقوم بدراسةٍ لمضمون رسالة «سل الحسام الهندي في نصرة مولانا خالد النقشبندي» وهي عجالة كتبها الفقيه

الحنفي الدّمشقيُّ المعروف بابن عابدين في الدِّفاعِ عن خالد البغدادي (وهو من مشاهير النقشبندية)؛ فنزلتُ عند رغبته، وكشفتُ مقاصد ابن عابدين وآراءه ومعتقداته الّتي لا تبدو للعامّةِ. وذلك بأسلوبٍ تحليليّ ونقديّ في ضوء الكتاب والسنة. وجمعتُ ما حصل من هذه الدّراسة في رسالة سميتها «موقف ابن عابدين من الصوفية والتصوّف». وهي غير مطبوعة.

***



***

3. التّرجمة بمختلف جوانبها في العلاقات التركية–العربية :

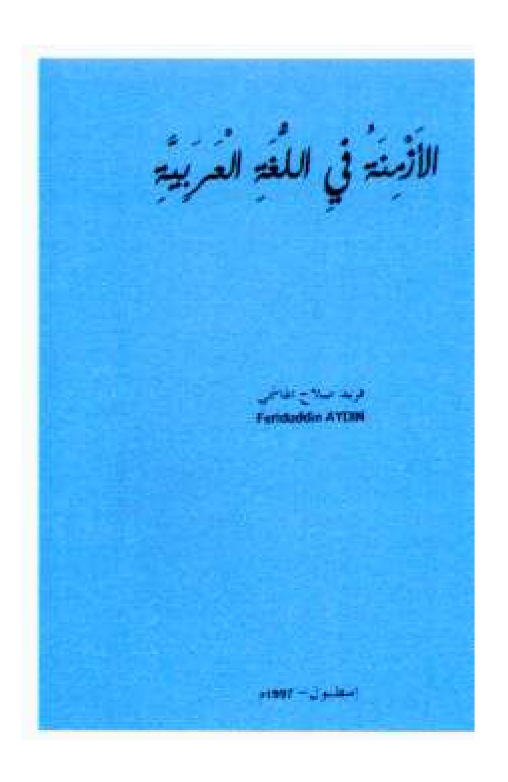
هي رسالة متواضعة تتعلّق بهذا الفن أيضًا، ولكن تتناوله في أبعادٍ إجتماعيةٍ وسلوكيةٍ أكثر من أن تكون تعريفًا أكاديميًا بحتًا لهذه الصناعة. وهي غير مطبوعة أيضًا.



***

4. الأزمنة في اللّغة العربية:

هي رسالة وجيزة تحتوي على بحث دقيق في اللّغة العربية حول مسألةٍ نادرةٍ جدًّا. وهي علاقة الفعل بالزّمان. انطلقتُ من هذه العلاقة حتى أقمتُ البرهانَ على أنّ عددَ الأزمنة ليس محصورًا في ثلاثٍ فحسب: (الماضي والحال والاستقبال)؛ كما يزعمه علماء العربية قديمًا وحديثًا؛ بل أثبتُّ لأوّل مرة في تاريخ اللّغة العربية أنّ هذه الثلاثةَ أصولٌ تتفرّعُ منها سبعُ أزمنةٍ أخرى. فقدّمتُ نسخةً منها إلى الدكتور عبد الحميد الهرامة أحد الأساتذة بكلية الدعوة الإسلامية في طرابلس (ليبيا) ليرى فيها رأيه. فأجابني بخطابٍ يعبّر فيه عن مشاعره الطّيّبة، وصورتها فيما يلي. أمّا رسالتنا فهي – على ما أظنّ – ما زالت غير مطبوعة. ولا أدري لماذا لم تُطْبَعْ هذه الرّسالةُ. لأنّي وكّلتُ الأستاذ عبد الحميد الهرامة لمّا أرسلتُ نسخةً منها إلى عنوانه في ليبيا، طلبتُ منه أن يتكرّمَ مشكوراً بنشرها، وأعلم أنّ جمعية الدّعوة الإسلامية في هذا البلد تسعى دائماً لنشر أعمالٍ علميةٍ، لينتفع بها أبناءُ أمّتنا.



***

5. نظام العقيدة في الإسلام (İslâm’da İnanç Sistemi).

كتاب في العقيدة الإسلامية، أعددتُهُ باللّغة التّركيّة وبأسلوبٍ مبسّط، لحاجة الجيل الحاضر إلى كتابٍ يفهمونه بسهولة. لأنّ اللّغة التّركيّة سريعة التقادم. فانّ الناشئة لا تكاد تفهم ما قد دوّنهُ الآباءُ قبل خمسين عامًا، فضلاً عن المؤلّفات الّتي هي أقدم.

إنما اخترتُ هذا العنوان، لغرضٍ هامٍ جدًّا. ألا وهو التّلميح إلى أنّ أركانَ الإيمانِ مجموعةٌ متماسكةٌ ومتكاملةٌ من مبادئ أساسية؛ تتوقّف صحة العقيدة على وجود جميع هذه المبادئ ضمن شرط المعيّةِ في قلب الإنسان؛ بحيث إذا انتفى أحدها، انتفى جميعها. نعم اخترتُ هذا العنوان، لأنّ كثيرًا من النّاس في بلادنا يجهلون هذا الأصل الهامَّ ويعتقدون أنّ من أيقن ببعض أركان الإيمان دون بعضها لا يكون قد حلّ ربقة الإسلام من عنقه. فأردتُ أنْ أنبّههم بهذا العنوان قبل أن يتصفّحوا الكتابَ بأنْ يشعروا في الوهلة الأولى أنّ أركانَ الإيمانِ مجموعةٌ كليةٌ، متلازمةُ الأجزاءِ، لا تصح العقيدة إلاّ بعد اليقين بجميعها. طُبع هذا الكتاب وتمّ نشره من قبل دار قهرمان عام 1995م. وهو غير معرّبٍ



نظام العقيدة في الإسلام باللّغة التّركيّة.

يتعرّض هذا الكتابُ إلى مسائلَ فكريّةٍ وإيديولوجيةٍ ترتبطُ بالعقيدةِ. فيعالج بذلك مشاكل وجدانية للإنسان المعاصرِ في مواجهة تحدّياتٍ فلسفيّةٍ وكلاميةٍ لم يطرق إليها أسلاف الأمّةِ لعدم ظهورِها في أيّامِهم. تمّ طبعُهُ ونشرُهُ (عشرة آلاف نسخة)، وقد نفدتْ نُسَخُهُ في مدّةٍ قصيرةٍ.

6. الرابطة في الطّريقة النقشبندية (Tarikatta Râbıta ve Nakşibendîlik)

لمّا انتبهتُ إلى الفساد المتفاقم في عقائد غالبِ النّاس من الشّعب التّركي في المرحلة الأخيرة، ووجدتُ أكثرَ النّاس يُشركون بالله وهم يصلّون ويصومون ويحجّون ويزكّون، قمتُ بدراسةٍ دقيقةٍ ذات أبعاد متباينة حول الدِّيانات الّتي اعتنقها الأتراك قبل الإسلام وما انحدر من تأثيراتها إلى عقائدهم بعد الإسلام؛ كما قمتُ بدراسة شاملة لمعظم الطرق الصوفية والمذاهب الباطنية الّتي انتشرت بين صفوف الأتراك قديمًا وحديثًا وما اعتنقها ملوكهم عبر التّاريخِ فاتّخذوها وسيلة لتحقيق أهدافهم. كلّ ذلك لاكتشاف أسباب الفساد الّذي قد أفضى إلى انتشار الإلحاد والزندقة

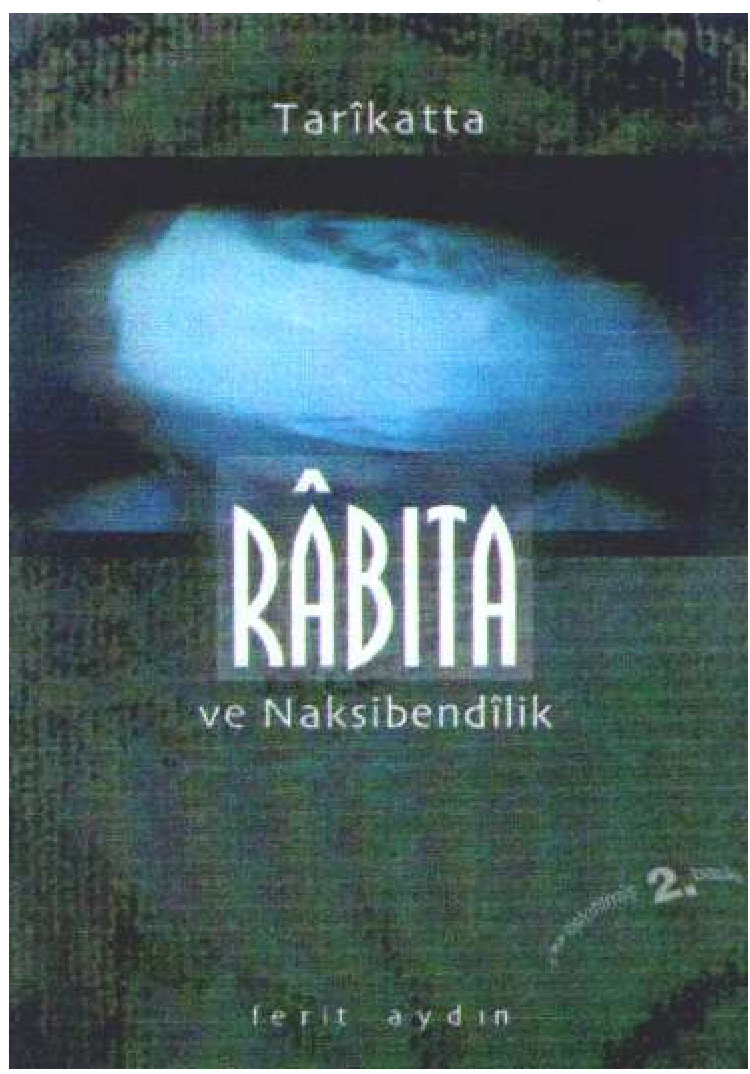
في تركيا المعاصرة. وعكفتُ في ذات الوقت على مصادر العقيدة الإسلامية وسهرتُ عليها، فحظيتُ بتوفيق الله تعالى اطّلاعًا واسعًا في هذه الشّعبة الجليلة من العلوم الإسلامية، كما وقفتُ بفضل هذه البحوث على آراءِ الكلاميّين والفلاسفة ووجوه خلافاتهم وكذلك على كُنْهِ المذاهب الكلاميّة والطُّرُقِ الصوفية وأصناف الملل والنِّحَلِ، حتى أثمرتْ هذه الجهود بإنجاز الكتاب المذكور في البند السابق. ولكن تبيّن لي في نهاية المطاف أنّ أسبابَ الخطر الّذي قد حَاقَ بعقيدة الشّعب التّركي ، لا تنحصر في الّتيارات العلمانية وتقاليد الكفرة وغيرها فحسب، بل أهمّ أسباب هذا الفساد هي الطُّرُقُ الصوفيةُ.

فقمتُ ببحثٍ دقيقٍ حول صلاة الرابطة كخطوةٍ مرحليةٍ لأتناولَ هذه الطّريقة بكافةِ جوانبِها وبصورةٍ شاملةٍ فيما بعد. أمّا الرّابطةُ، فهي شكلٌ غريبٌ من أشكال التعبّد في الطّريقة النقشبندية. وبهذا قد أنجزتُ عملا هامًّا في موضوعٍ يجهلُهُ عامّةُ المسلمين حتى العلماء. و سمّيتُهُ «الرابطة في الطّريقة النقشبندية» . كتبتُهُ باللّغة التّركيّة وبأسلوبٍ سلسٍ برّاقٍ متينٍ. وبيّنتُ فيه أسماءَ جميعِ المصادرِ الّتي استقيتُ منها على سبيل الاستدلال.

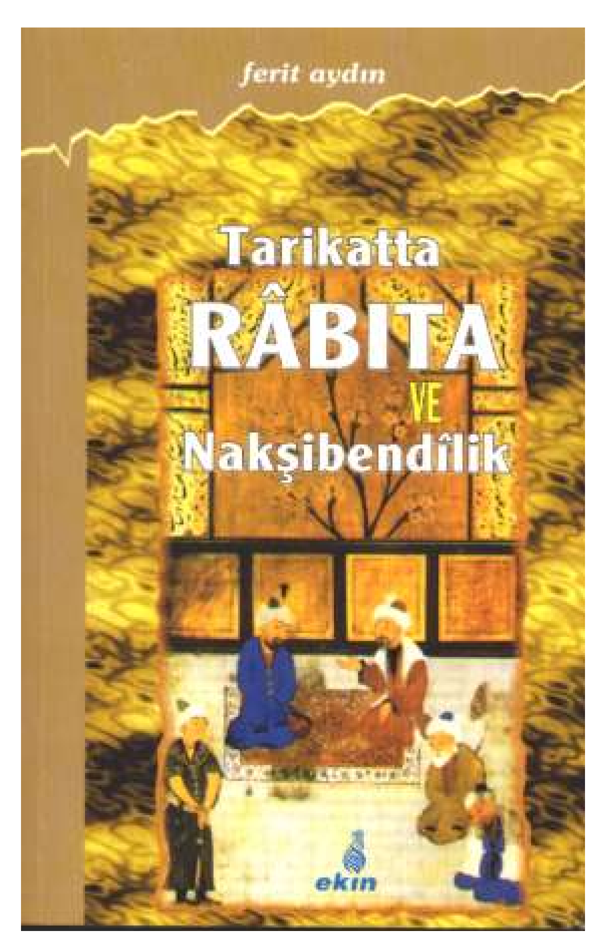
قامت بطبعه ونشره دار Ekin للطباعة والنشر والتوزيع في إسطنبول عام 1996م. فوجدَ الكتابُ إقبالاً متزايداً وإعجابًا بالغاً، كما أثار ضجّةً في صفوف النّقشبنديّين، وقد نفدت الطبعةُ الأولى منه منذ سنين، فقامت بطبعه ثانيةً مؤسّسةُ وقف السليمانية عام 2000 م. بناءً على الحاجة الملحّة.

***

الرّابطة في الطّريقة النّقشبندية (باللّغة التّركية)



الطّبعة الأولى



الطبعة الثانية

***

الأهداف

أما الغرض من تقديم هذه المعلومات، خاصة منها المتعلقة بأعمالي على الصعيد الفكري والعقدي، فانه ينحصر في ثلاثة أهداف رئيسية:

الأول منها، فتح نافذة يطلّ منها رجال البحث العلمي على الواجهة المتسترّة لعقلية المجتمع التّركيِ واتجاهاته الفكرية وطبيعته الاجتماعية، وليقفوا بعمق على حقيقة ما قد انبثق وتفاقم من هذه العقلية من نزعات وتيارات وإيديولوجبات على أرضه اليوم، وحتى يتمكّن الباحث بذلك من الإطلاع على الأزمة الرّوحية المرتبطة بهذه الواجهة الّتي يعاني منها الشّعب تحت دافع الظّروف الرّاهنة، ولكي تُصبح من السهل مُدارسةُ القضايا العقدية لهذا الشّعب وبالتالي مساعدتُه في وجه التّيارات الإلحادية والزندقة والانحلال.

والهدف الثاني، هو التّأكيد على أنّ المجتمع التّركيَّ جزء هامّ من الشعوب الّتي تدين بالإسلام وتعتزّ به، وإن كان هو يعاني اليوم من انتشار البدع والخرافات والشّركيات في ديانته، وتصدُّهُ موجاتٌ تضليليّةٌ خطيرةٌ عن العقيدة الحنيفة، وذلك ردًّا على من يتذرّع بالفساد الشائع والإنهيار الخلقي في بلادنا فيُشمِلُهُ على الشّعب بعمومه.

ونركّز في هذا الصّدد أوّلاً؛ أنّ المجتمع التّركيَّ مستهدَفٌ من قِبَلِ أعداء الإسلام في الدّاخلِ والخارج؛ ولكن المؤامرات الّتي تحاك لعزل هذا الشّعب من ساحة الإسلام نهائيًا هي أخطر من كلّ ما يراد به من تشتيتٍ وتضليلٍ وإرباكٍ في مجالاتٍ أخرى؛

ونركّز ثانيًا على أنّ هذه المؤامرات تنحصر على وجه الخصوص في إثارةِ ثلاث تيارات خطيرة جدًّا: أحدها، هو التّيار الصوفيُّ–الباطني، والثاني هو التّيّار الوثني المتقمّص بالعلمانية، والثالث هو التّيّار العصبي–الطوراني؛

ونركّز ثالثًا على أنّ القاعدةَ الشّعبيةَ ما زالت على سذاجتها الفطرية، تُقرّ بانتمائها إلى الإسلام، وتشعر بالمحبّة إلى جميع العناصر المسلمة في أنحاء العالم؛ إلاّ أنها في قبضة قلّةٍ من يهود سالونيك المتنكّرين بالإسلام والمتحكّمين في سياسة الشّعب والمسيطرين على مؤسّسات الدولة وأجهزتها، وبالتّالي فانّ الشّعب الساذج العازل والمغلوب على أمره معرّضٌ للفساد في دينه وعقيدته، وكذلك المفاهيم القرآنية معرّضة للعبث والتّحريفِ على السّاحةِ التّركيّةِ خاصّةً في هذه المرحلة الحسّاسة. وهذا يدعو المسلمين جميعًا أن يتحمّلوا مسئوليتهم أمام الخطر السّافر على كتاب الله بالتّأويل والتّعطيل في هذا البلد!

والهدف الثالث؛ هو أني – ككاتبٍ وباحثٍ من أبناء هذا الشّعب– أطلب المساعدة اللاّزمةَ والعاجلة على وجه الدّوام لأتمكّن بها من مواصلة البحوث والدّراسات العلمية من خلال التُّراث التّاريخيّ والمصادر التّركيّة المعاصرة وبمتابعة الإعلام التّركيّ؛ وذلك لانتقاء الشّواردِ والمتخفيات من عقائد هذا الشّعب وأسرار مفهومه للإسلام من خلال مواقفه وردود فعله الّتي تنعكس يوميًّا على الأحداث والتّطوّرات ولا يمكن أن يهتدي الرَّجُلُ العربيُّ من تلقاء نفسه إلى حقيقة ما يربط هذه العكوسَ بأسبابها الفكرية والعقدية والتّاريخية. ذلك أنّ المثقّفَ العربيَّ دومًا يفاجئ ما يُشغلُهُ لدى نظرته إلى الصّورةِ الأمامية لهذا المجتمع عن كلّ ما يتوارى خلفها من حقائقَ تاريخيةٍ ودينيةٍ واجتماعيةٍ.

لقد أرى القيام بهذه المهمّة من المسؤولية العلمية والأخلاقية، وذلك لمساعدة رجال البحث العلمي في العالم العربي، والتعاون معهم ولتمكينهم من الإطلاع على القضايا المذكورة بعمقٍ وإحاطةٍ وشمول، خدمةً لعالم المعرفة و مساهمةً متواضعةً لتمهيد سبل الإرشاد وتصحيح ما قد فسد من عقائد المسلمين في هذه البلاد. لعل هذه المحاولة مني تنفع لسدِّ شيءٍ مما قد فتحتها القوى الهدّامةُ من الثّغراتِ بين هذا المجتمع وبين بقية المسلمين في العالم. وعسى الله أن

يتقبّل هذه الجهود لوجهه الكريم وأن يُثْمِرَهاَ لصالح الصّحوةِ الإسلامية الّتي تشهدها بلادنا، وأن يجعلها وسيلة الهداية إلى ما فيه رضاه وصلاح المسلمين.»

***

خلاصة المحاورة

كانت هذه كلمات الاستاذ فريد الدّين، يعبّر خلالها عن أعماله وآماله ومشاعره وتمنّياته لشعبه ولأمة الإسلامِ، وهو لا يزال يبحثُ وينقّبُ ويفتّشُ ويكتب، غير عابئٍ بعُزْلَتِهِ وكأنّه يسخر بالطوق الّذي يحيطُ به.

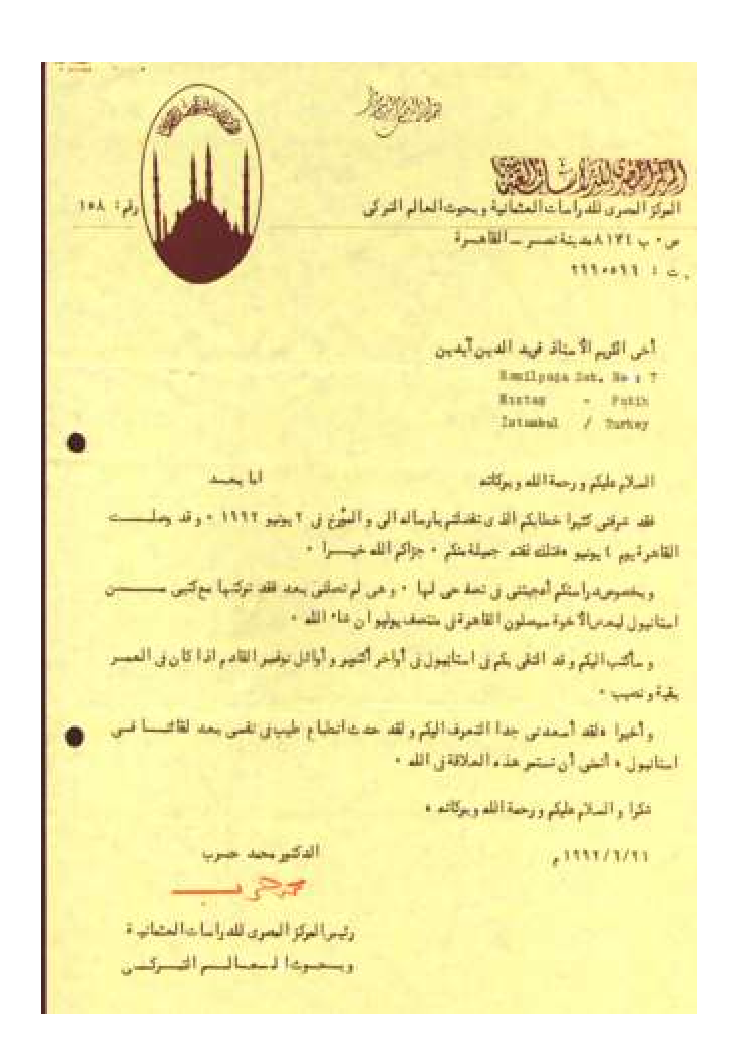
***

أمّا إنّي لماّ عُدْتُ إلى باكستان، علمتُ بالتّأكيد أنّه قد فاتني استيضاحُ مسائل أخرى لم أذكرها أثناءَ تلك الزّيارةِ، ولكنّي أمعنت النّظر في أربع رسائلَ، (كان الشيخ فريد الدّين قد أعطاني ثلاثًا منها ضمن الأوراق الّتي تسلّمتُها منه أثناء الوداع، وأرسل الرابعةَ بعد سنين مع تلميذي السيد بختيار محبوب زرابادي) فوجدتُها قد وصلَتْهُ من رجال العلم ردّاً على خطابه لهم؛ فرأيتُ من باب الاستكمال لهذا الموضوع أن أتطرّقَ إلى تلك الرّسائل. لأنّي لمستُ خلالَها ما يقوم مقامَ الإجابةِ على بعضِ تساؤلاتٍ جالتْ في خلدي بعد مغادرتي إسطنبول، لعلَّ بعضُ مدلولاتٍ ومقاصدَ مكنونةٍ في طيّ هذه الرّسائلِ يقودنا إلى حلّ شيءٍ من أسرار الطّوقِ الّذي أحاط بالباحث فريد الدّين فعزله عن العالم الّذي طالما تاقتْ إليه نفسُهُ؛ ولعلّ السُّحُبَ تنقشع بذلك عن صورةِ هذه الشّخصيةِ. وأهمّ من ذلك أن يتمّ إنقاذُ ثروته العلميةِ من خطرٍ وشيك قبل أن يمسحها، فتندرجَ الخسارةُ في قائمة الثقافةِ العربيةِ!

أوّل هذه الرسائل، جوابٌ من المركز المصريّ للدّراسات العثمانيةِ وبحوث العالم التُّركيّ. تلقّاهُ الباحثُ ردّاً على استفسارِهِ عن بحثٍ سبق أنْ قدّمه إلى رئيس المركز الدّكتور محمد حرب لعلّه يساعده على نشره في القاهرةِ. فأظنّ أنّ هذا العمل هو الّذي أشار إليه المؤلّفُ آنفاً تحت عنوان (التّرجمة بمختلف جوانبها في العلاقات التركية–العربية)

هذا الخطاب المدوَّن في 1992/06/21م. جاء فيه أنّ الدّكتور حرب "قد أعجبتْه رسالة الباحث فريد الدّين في تصفُّحِهِ لها"! ولكن يبدو أنّه لم يتجاوز الأمرُ مجرّدَ التّصفُّح إلى يومنا هذا! وفيما يلي صورة هذا الخطاب.

***



المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي

ص. ب ٨١٣٢١ مدينة نصر – القاهرة

ت: ٢٦١٠٥٦٦

رقم: ١٥٨

أخي الكريم الأستاذ فريد الدين آيدين

Kemalpaşa Sok. No : 7

Kiztas - Fatih

Istanbul / Turkey

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته   أما بعد

لقد شرفني كثيرا خطابكم الذي تفضلتم بإرساله إلي والمؤرخ في ٢ يونيو ١٩٩٢، وقد وصلت القاهرة يوم ١٠ يونيو فتلك لفتة جميلة منكم، جزاكم الله خيرا.

وبخصوص دراستكم أوجينتي في تحضير لها، وهي لم تصلني بعد فقد تركتها مع كتبي في استانبول لبعض الأخوة سيصلون القاهرة في منتصف يوليو إن شاء الله.

وسأكتب إليكم وقد ألتقي بكم في استانبول في أواخر أكتوبر وأوائل نوفمبر القادم إذا كان في العمر بقية ونصيب.

وأخيرا فلقد أسعدني جدا التعرف إليكم ولقد حدث انطباع طيب في نفسي بعد لقائنا في استانبول، أتمنى أن تستمر هذه العلاقة في الله.

شكرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٩٩٢/٦/١١م

الدكتور محمد حرب

رئيس المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي

***

أما الخطاب الثاني، فهو كتابُ للباحث فريد الدين، وجّههُ إلى علي ناصر الفقيهي، رئيس الوفد السعودي الّذي زار إسطنبول في الشهر السادس من عام 1992م. لمهمّةٍ تثقيفيةٍ قام أثناءَها بتوزيع كميّاتٍ كبيرةٍ من الكتبِ على طلبةِ العلم مجّاناً في إسطنبول، فلم يلتفت إلى الأستاذ فريد الدّين بعين الاهتمام، ولا قدّر مكانتَهُ بتقديم نسخةٍ له من تلك الكتب، فأدرك الشيخ فريد الدّين شيئًا في نفسهِ حتّى وصف مخاطبَهُ في هذه الرّسالةِ بجفاف الطبع وقسوة الجانب، فأسفر ذلك عن مساجلةٍ بينهما، كما يتضح من خلال صورة الخطاب فيما يلي.

***

22/تموز-يوليو/1972

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

الأستاذ علي ناصر الفقيهي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فإني والله من جملة الذين يخاطرون بأنفسهم اليوم في محاربة الكفريات وشرك القبوريين، والقيام بنشر الدعوة إلى العقيدة الحنيفية - ولست أمنّ بهذا على أحد إذ أنه من واجباتنا جميعاً - وإنما أعبّر عن أسفي لتجاهلكم، حيث لم تذكروني ولو بنسخة واحدة من الكتب التي حملتم إلى الناس على كثرتها - سواء في العام الماضي وفي هذا العام مع علمكم بأني لست موظفاً بسيطاً في هذه المؤسسة ولا متملقاً كالذين يسايرونكم كما يسايرون الزنادقة من الصوفية في نفس الوقت لأغراض ليست خافية على أهل البصيرة. فإني والحمد لله قادر على شراء وتوفير ما أحتاج من الكتب، ومن أنجح الناس في فهم كتاب الله وأعلمهم بأسرار لغة القرآن، وأجدرهم بإكرام شيء من هذه الكتب، ذلك ( ) إعلاناً بالحقيقة وليس فخراً.

هذا وعسى أن تعذروني - فإني وجدت من حق الأخوة أن أذكّركم بما لمست فيكم من جفاف الطبع وقسوة الجانب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم

فريد الدين آيدن

***

أمّا الخطاب الثالث، فهو للدّكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، أحد رجال العلم بليبيا، يهنّئُ الشيخ فريد الدّين ببحثِهِ. يبدو أنّ الشيخ قدّم للدّكتور عبد الحميد صورةً من بحثٍ له، فأعجبه وأشاد بذكره. ونتوقّع أن يكون هذا البحث هو الكتاب المسمّى «الأزمنة في اللّغة العربية». ولكن لا يزال هذا البحث القيّم غير مطبوع. كما لا ندري ما السّبب الّذي منع الموكَّلين بليبيا من طبعه ونشره. وفيما يلي صورة هذا الخطاب.

***

طرابلس في 1997.12.7

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الجليل والعالم المبجل فريد الدين آيدن حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فقد تلقيت بكل سعادة رسالتكم الكريمة، واطلعت بإعجاب شديد على عملكم القيم الذي يدل على معرفة لغوية واعية، والقدرة وإضافة جديرة بالنظر والتقدير.

أخي الكريم لعله من محاسن المصادفة أنني أشرفت على رسالة التي قدمت لنيل درجة الدكتوراه من إحدى جامعات المغرب العربي [illegible] أغفلوا الإشارة إلى تفاوت الزمن في الأفعال ملازمة الفعل [illegible] وفصله وأتيت بأمثلة من الشعر الأندلسي تظهر بوضوح وجوه [illegible] على الماضي البسيط والمضارع التام، ولكنني لم أتوسع في الموضوع بل طالبت المتخصصين في اللغة أن يعيدوا النظر فيه لتأصيله وتقعيده، لأن رسالتي كانت رسالة أدبية لا تعنى بالقواعد النحوية إلا عرضا.

[illegible] الطاهر [illegible]

وتقبلوا أخي الكريم خالص ودي وتقديري واحترامي

المخلص عبد الحميد عبد الله الهرامة

***

أما الكتاب الرّابع الّذي حصلتُ عليه في الآونة الأخيرة، فهو رسالةٌ وردتْ من المجمّعِ الثقافيّ بالإمارات العربية المتّحدة، تفيد بالاختصار؛ أنّ المسؤولين بهذا المجمّعِ "قد تلقّوا نسخةً من الكتاب الموسوم بـ (الطّريقة النّقشبنديّة بين ماضيها وحاضرها)؛ ويعبّرون عن إعجابهم به، وهو من أهمِّ إنجازات الشيخ فريد الدّين، ولكنّهم يعتذرون "لما هم فيه من برامج في النّشر"، أي لا يملكون الفرصةَ الزّمنيّةَ لنشر الكتاب"!

***



المجمع الثقافي

التاريخ: ٢٠/٩/٩٩

الرقم: ٩٩/٢٢٢٥

دار الكتب الوطنية

قسم النشر

الأستاذ الفاضل / فريد الدين آيدن الأكرم Feriduddin Aydin المحترم

Idealtepe – Kestane Sok

No. 8.D.6. Kucukyali

Turkey

Tel.: 0090 – 216 – 4176833 Home

تحية طيبة وبعد ..

تلقينا ببالغ الاعتزاز والتكريم نسخة كتابكم الموسوم بـ (الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها)، وفي الوقت الذي نكبر فيه نتاجكم الرائع، نرجو قبول اعتذارنا عن نشره؛ لما نص فيه من برنامج في النشر على وفق زمن محدد لم يسمح لنا بذلك .. نتمنى لعملكم هذا التوفيق والنجاح.

وتقبلوا فائق التقدير والاحترام ..

جمعة عبد الله القبيسي

الوكيل المساعد لشؤون دار الكتب الوطنية

ملاحظة:

هاتف: ٢١٥٣٠٠ Telephone: 215300 — ص.ب: ٢٣٨٠ أبوظبي P.O. Box: 2380 - ABU DHABI — فاكس: ٢١٧٤٧٢ Fax: 217472 — تلكس: ٢٢٤١٤ Telex: 22414 CULCEN EM — الإمارات العربية المتحدة UNITED ARAB EMIRATES

***

إنّ هذه الرّسائل الأربع فحسب، إذا أمعنّا الفكرَ فيما يكادُ يتخفّى من وراءِ سطورِها، لن يفوتَنا في الواقعِ أنْ نتعرّفَ على شيءٍ من الخطورةِ الّتي تحيط بالباحث فريد الدّين وبالأسوار الّتي تطوّقُهُ من كلِّ صوبٍ، فتعزله من هذا العالَمِ، مع ما قدّمَ بقلمِهِ المدرار من الثّروةِ العلميةِ في مجال البحثِ والتّدقيق.

ربما لا يتمالك الإنسانُ أن يتساءل في نفسه مرةً أخرى: ما هو سببُ هذا الحصار في حقيقة الأمرِ؟

لابدّ هنا أنْ نصرّحَ بكلِّ تأكيدٍ أنّ الأستاذ فريد الدّين لا يواجه أيَّ مشكلةٍ تقلّصُ من نشاطِهِ في بلده. لأنّه يؤلِّفُ بحوثَهُ باللّغة العربية؛ فلا يتمكّن هناك أحدٌ من متابعتِها وقراءتِها وفهمِها؛ لأنّ الأتراك، لا يكادُ يوجدُ فيهم مَنْ يُتقن العربيّةَ؛ وبالتّالي إنّه في أمانٍ من شرِّ النّظام ومن شرِّ النّاس. بل أقبلت النّاشئةُ على كتابين له صدرا باللّغة التّركيّة. وهما نظام العقيدة في الإسلام، وصلاة الرابطةِ في الطّريقة النّقشبندية، كما مرّ ذكرهما على لسانِ مؤلّفهما.

فهنا تبدأُ تتبلورُ علامات الأسباب الّتي دخلت بين الأستاذ فريد الدّين وبين قومهِ ومراميه حتّى أخفَتْهُ عن الأنظارِ.

وإذا عُدْنا إلى تلك الرّسائل الأربعِ مرّةً أخرى، وجدنا فيها من هذه العلامات وهي تتوارى بظاهر الكلمات، ولكنّنا سوف نحاول لكشف السّتائر عن الوجه الحقيقيِّ لهذه الرّسائل الّتي يظهر من خلالها الجانبُ الأخلاقيُّ لبعض الوفود والجمعيات الّتي تتعهّدُ مهمّةَ التّثقيفِ والإرشاد في البلاد العربية، وأنّها كيف تتواطأ مع أشخاصٍ وتجمُّعاتٍ مشبوهة في تركيا، مما يؤدّي هذا التّعاون إلى الإساءةِ بالمخلصين من أبناءِ الشّعب التّركي الّذين هم في كفاحٍ مستمرٍّ في وجه أعداءِ الحقِّ على أرضِ وطنهم. ومن جملة هؤلاءِ المخلصين المضطهّدين، الباحث فريد الدّين.

وكمثالٍ على ذلك: طلب مجمع الفقهِ الإسلاميِّ من الأستاذ فريد الدّين برسالةٍ صورتها فيما يلي، طلب منه أن يقوم بترجمةِ قراراته وتوصياته إلى اللّغة التّركيّة؛ فاستجاب الأستاذ دعوةَ المجمعِ وأكمل مهمّتَه على أحسن وجهٍ، وشكر المجمعَ على مكافأتهِ. ثمّ كلّفَ المجمعُ مَنْ يقوم بطباعةِ هذه التّرجمة في تركيا وتوزيعها على المسلمين الأتراك ليتفقّهوا في دينهم. ولكنّ التّرجمة اختفتْ وذهبتْ مع الرّيح. والمجمع لم يحقّق مع أولئك الأشخاص الّذين تقاضوا تكاليف الطباعةِ ولم يقوموا بمهمّتهم! ومنهم رجلٌ يرأس مكتب منظّمةِ المؤتمر الإسلاميِّ بإسطنبول، كما يرأس الوفود التركيةَ في المؤتمرات الّتي تقام في البلاد العربية!

***

ORGANISATION DE LA CONFERENCE ISLAMIQUE
Académie Islamique du Fiqh





ORGANISATION OF THE ISLAMIC CONFERENCE
Islamic Fiqh Academy

جدة في : ٥/٣/١٤١٣هـ
الموافق : ١٩٩٢/٩/٢م

الرقم : ١٧٣/أف/١/أس جي/أس أو/٩٢

الحمد لله
صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سعادة الدكتور فريد الدين آيدين المحترم
استنبول - تركيا

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد

يسر الأمانة العامة لمجمع الفقه الإسلامي بجدة أن تقدم لكم الشكر والتهنئة على قيامكم بترجمة قرارات وتوصيات المجمع في دوراته من الثانية إلى الخامسة حسب ما أفادنا به الأخ المبجل الدكتور أكمل الدين حسان أوغلو المدير العام لمركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستنبول .

والمرجو من سعادتكم أن تتفضلوا :

- باعلامنا بتكاليف هذه الترجمة .
- وبالاتصال بالبروفسور صالح طوغ عميد كلية الإليهات - بجامعة مرمارا باستنبول وعضو المجمع .

وتفضلوا سعادة الدكتور بقبول أخلص عبارات التقدير والاحترام ،

عمر الفراني
مدير ديوان الأمين العام
بمجمع الفقه الإسلامي بجدة



عنوان البروفسور صالح طوغ :
Prof. Dr. Salih Tug
Dean of the Faculty of Theology,
Marmara University,
Baglarbasi - Uskudar,
TURKEY
Phone: 515796 -(office)/514746 -(Home)

هاتف : ٦٦٠٩٣٢٩/٦٦٧١٦٦٤/٦٦٧٢٢٨٨
P.O. Box: 13719 Code Zone 21414
فاكس رقم ٦٦٧٠٨٧٣
ص.ب ١٣٧١٩ الرمز البريدي ٢١٤١٤
Tel. 660 9329/667 1664/667 2288

ملاحظة: أفاد الأستاذ فريد الدّين أنّه لا يحمل شهادة الدّكتوراه، وإنّما جاء الخطاب أعلاه بذلك

إمّا لظنّ المخاطبين أو على سبيل الإحترام.

***

وقبل أن نباشرَ العملَ في تنقيب الرّسائل المذكورةِ وإخراج الخبايا من أعماق عباراتِها، يجب هنا التّساؤل أوّلاً عن الجانب الفكريِّ الّذي يتبنّاه الأستاذ فريد الدّين لأنّه مهما كان من باحثٍ يتناولُ قضيّةً ويحلِّلُها بأسلوبٍ منهجيٍّ

وموضوعيٍّ، إلاّ أنّه لا يتطلّب ذلك أن يكون الكاتب في كلِّ الأحوالِ محايداً تماماً بحيث يتخلّى عن فكرهِ ومعتقداته؛ خاصّةً إذا وجد تنازعاً بين ما يؤمن به وبين موضوعِ عملهِ .

ولقد حان الوقتُ هنا أن نعترف بأنّ الأستاذ الباحثَ فريد الدّين لم يتناول قضيّةً ليُجْرِيَ فيها قلمَهُ إلاّ وقد أراد أن يقوم بتصحيح غلطٍ أو خطأٍ وقع فيه النّاس، أو فسادٍ عمَّ ضررُها، أراد أن يحذّرَ المجتمعَ عن مساويها. لاشكَّ من أنّ هذا دأبُ الرُّوّادِ والمرشدين. إنّهم طالما تحمّلوا مسؤوليةَ الدِّفاعِ عن كلِّ معروفٍ، وتكبّدوا أنماطاً من الحرج والمشقةِ واللؤمِ والاستنكارِ بمجرّدِ إنذارهِم النّاس عاقبةَ سوءٍ تقتربُ منهم؛ أو تحذيرِهِمْ عن منكرٍ فعلوه.

فهذا فريد الدّين، إنّه كتب ما كتب حول مفهوم التّصوّفِ وما أسفر عن الفكر الصّوفيّ من تيّاراتٍ هدّامةٍ أذهبَ الشّيءَ الكثيرَ عن جمال الإسلامِ وطراوتِهِ وحيويَّتِهِ. وكتب عن القبوريين والعلمانيين، وشرح مفهموَ الزندقةِ بأنواعها المستمدّةِ من العلمنة والتصوّفِ؛ كما تطرّق إلى نفاق المندسّين في صفوف السّلفية الّذين امتدّت جسور التّعاونِ بينهم وبين النّقشبنديّين الأتراك في السّنين الأخيرةِ، مع علمهم بأنّ التّيّارَ النقشبنديَّ هو أكبر خطر صوفيٍّ على الإسلام والمسلمين في الوقت الرّاهن. ولهذا لا يُعْقَلُ أن يلتفتَ رئيس وفد السّعوديّ (علي ناصر الفقيهي) المارّ ذكرُهُ، لا يُعْقَلُ أن يلتفت إلى الأستاذ فريد الدّين بعين الرّضى ويقدّرَ مكانته، ويعترفَ أنّه لا يدانيه في جهاده ضدَّ الخرافيات والبِدَعِ والتّطرُّفِ أحدٌ من رموزهم في تركيا الّذين يسايرون الصوفيةَ ويعيشون على حساب الطرفين!

اصطدم الشّيخ فريد الدّين بنفس الموقف السّلبيّ من المجمّع الثقافيّ في الإمارات العربية المتّحدة بعد أنْ عرض عليه كتابَهُ (الطّريقة النّقشبندية بين ماضيها وحاضرها) في شهر حزيران عام 1999م. حتّى تلقّى من المجمّع المذكور رسالةً بعد شهور، يعتذرون فيها بلباقةٍ، أنهم لا يملكون الفرصة لنشره. يعتذرون هكذا بحجّةٍ تافهةٍ، ذلك لأنّهم لم يكلّفوا أنفسهم عناءَ الاهتمامِ بكلمات الأستاذ فريد الدّين حين يقول لهم. "إنّي أريد أن أقدّمُ هذا البحثَ بين يدي علماءِ أمّتِنا ليروا فيها رأْيَهم؛ ومتى وجدوا فيها شيئاً يُخِلُّ بالموضوعية والمنهجية في الأسلوب، ويتعارض مع المبادئِ العلميةِ ويخالف الكتابَ والسُّنَّةَ، فأنا مستعدٌّ لإجراءِ التّعديل اللاّزم عليهِ بكلِّ ودٍّ وأشكرهم على ذلك."

لقد انتهى الأستاذ فريد الدّين في الآونة الأخيرة من تأليفِ كتابٍ من أهمِّ بحوثِهِ بعنوان «تركيا في ضوء الحقائق» رد فيه المزاعمَ والأكاذيبَ الّتي وضعها القصّاصون، وما حرّفوا بها من حقائقَ باسم تاريخ الشّعب التّركيّ، كما سلّطَ الضّوءَ بعمقٍ على التّطوّرات التي تمرُّ بها تركيا شعباً ودولةً، وما تعاني منه في الوقت الرّاهن من أزماتٍ حادّةٍ انحدرتْ أسبابُها من حاوية الماضي. لا يزالُ هذا الكتابُ الهامُّ غير مطبوعٍ. ألّفه الأستاذ فريد الدّين باللّغة العربية وهو يأمل أن يتمكّن يومًا من نشرهِ في بلدٍ تتوفّر له فيه الحرية التامّةُ ليواصلَ مسيرتَهُ ويستكملَ مهمّتَهُ.

في نهاية هذه المحاورةِ وهو في وداعي، سمعتُهُ يقول:

«كأنّي خُلِقْتُ لأحاربَ التّطرُّفَ والعنفَ والباطلَ بكلِّ أشكاله. ولهذا عاداني كلُّ من عرفني من أبناءِ الحماقةِ، وكره لقائي دجاجلةُ السّياسةِ والإعلام، حتى مراسلوا الصحافة العربية في إسطنبول! ولكنّي لم أهادن عدوًّا للحقّ، ولا ابتسمت لمنافقٍ يرائي، بل فضحتُ أعداءَ السّلامِ، واستحقرتُ كلَّ صنمٍ وأسطورةٍ، وأبيتُ إلاَ أن أكونَ مقرًّا لما يُقِرُّهُ العقلُ السّليمُ والعلمُ والتّجربةُ.»

***

الكلمة الختامية

كانت هذه نبذةٌ من قصّةِ جنديٍ من جنود العلم والبحثِ والجهادِ الّذي وقف حياتَهَ وقلمَهُ في سبيل أشرف المقاصد؛ في سبيل الكشف عن الحقيقةِ والدّفاعِ عنها؛ وصَدَعَ بالحقِ، وحارَبَ أسبابَ الضلالِ، وفضح عبيد البطون من المتملّقين والمستغلين والمتجرين بالدِّين حتى أحاطوه من كلِّ جانبٍ وطوّقوه، وحرّموا عليه أن يُطبَعَ له كتابٌ ويُنْشَرَ؛ فلم يعبأ بهم، ولم يطلبْ في كلِّ جهادِهِ مدداً ولا عوناً من أحدٍ، ولم ينتمِ إلى حزبٍ أو جمعيةٍ أو نظامٍ سياسيٍ ليستنصِرَ به، ولم يسمح لمداهنٍ يطبّل له حتى استأذنتُهُ بعد إسرارٍ بالغٍ لأُسجِّلَ هذه السّطورَ أداءً لواجبٍ ترتّبَ عليَّ؛ لأنّ البحوث الّتي جادتْ بها قلمُهُ حتّى الآن، لهي جديرةٌ بالنّظرِ والإمعانِ فيها، والاهتمام بها؛ خاصةً وأنّ شخصاً هذه صفاتُهُ، يحظى من الشّعورِ البالغِ بكيانِهِ وأصلِهِ ونسبِهِ منذ أيّامِ طفولتِهِ، ويركّز جهودَهُ في حرمانٍ واضطهادٍ في وسطِ قومٍ أكثرُهُم لا يشاركونه في شيءٍ من عقائده وثقافتِهِ، ولا هو يشاركهم إلاّ في لغتهم فحسب، ويخدم العلمَ والمعرفةَ بدراساتِهِ وبحوثِهِ؛ فإنّه لامحالة، يُعَدُّ من الجريمةِ أن يُهمَلَ هذه الشّخصيّةُ فتتعرّضَ إنجازاتُهُ للعسفِ والضياعِ والخسارةِ. وحتّى لا أكونَ ممّن اقترف هذه الجريمةَ (لأنّ القدرَ جمع بيني وبين هذا الجنديّ المجهول، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً). فرأيتُ من باب الحميّةِ للعلمِ وأهلِهِ أن أسجّلَ ما شاهدتُهُ وأثبتُّهُ. ولا أظنُّ أنّ مسؤوليةَ مّنْ يقرأ هذه السطورَ أقلُّ من مسؤوليتي. فأترك الأمر لهم وللتاريخ.

